د. ميسون حنا

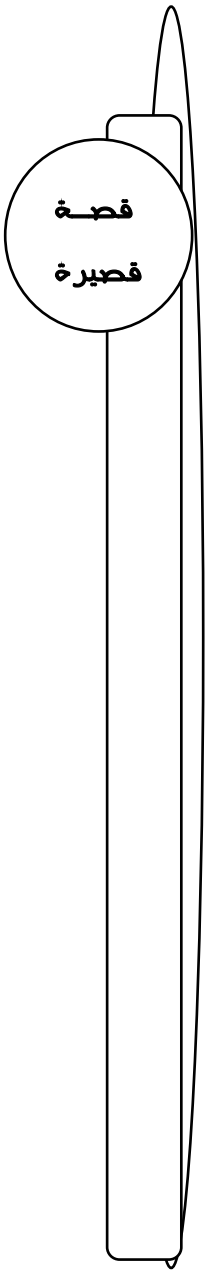

الغد موعدنا

د. ميسون حنّا

الغد موعدنا

(مجموعة قصصية)

2025

التصنيف

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2917\6\2025)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب	الغد موعدنا
تأليف	حنا، ميسون سليمان جريس
بيانات الناشر	الزرقاء. ميسون سليمان جريس حنا، 2025
الوصف المادي	128 صفحة
رقم التصنيف	813.9
الواصفات	\القصص العربية\\ \\الأدب العربي\ العصر الحديث
الطبعة	الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ISBN 978-9923-0-1787-6 (ردمك)

حقوق النشر محفوظة للمؤلفة

- **التنسيق والإعداد الطباعي: محمد فتحي المقداد.**
- **إربد. مكتبة الطلبة للطباعة والتوزيع.**

الإهــداء

إلى أعز الناس زوجي

جورج يوسف عطاالله

الداعم لي باستمرار

تقديم

محمد فتحي المقداد. سوريا

قطرة الدمِّ والقلم جدليَّة القوَّة والتسلُّط، والضَّعف والمقاومة؛ فعندما تُحاول نُقطة الحبر أن تتحوَّل إلى نُسُغ؛ فإنَّها تمدُّ الحياة بأسباب نمائها وازْدهارها، وتصنع نسيجًا من الكلمات المُدْماة؛ لتحكي مأساة إنسانيَّة مغموسة بالألم والحزن والموت، وما قيمة الفكر والثَّقافة، ومُخرجاتها الكتابيَّة والتدوينيَّة. إذا لم تُعلن هويَّتها المُرتبطة بقضيَّة.

الكاتبة "**ميسون حنّا**" صاحبة قضيَّة، لا تُبارح ساحاتها على الرَّغم بعدها عنه؛ تتلمَّس أوجاع وطن سليب مليء بالآهات والأحزان، ومن خلال نصوص مجموعتها القصصيَّة "**الغد موعدنا**"؛ فالعنوان بحدِّ ذاته لوحة مُشرقة، ترسم الغد.. غَدَ الاِنْتصار والتحرير، إنَّها تضيء بهذه الجملة الاِسْميَّة المُعرَّفة عَتَمات اللَّيل، وتُمهِّد الطَّريق بالضِّياء لهذا الغد، والذي سيكون موعدًا للنِّزال، ومُناجَزَة العدوِّ. صاحب القضيَّة على أمَلٍ بل على

يقينٍ دائمٍ، بأن النَّصر حليفه ولو بعد حين. بهذا المنحى تصير الثَّقافة والكتابة مُقاوَمة.

نصوص الكتاب تتمحور حول قضيَّة العودة أوَّلًا، والقضيَّة الثَّانية في تفصيلات الصِّراعات الِاجْتماعيَّة والأُسريَّة. فَتَحْتَ عنوان رئيس **(العودة)** جاءت تحته عناوين نصوص مرقَّمة (1-3):

(دمية شال.1)، و**(عودة ملغومة.2)**، و**(عُدنا.3)**، ومن ثمَّ تتابعت العناوين بعدها؛ تُناقِشُ بذات القضيَّة: **(الموت الكريم)**، و**(أحلامٌ غزيَّة)**، و**(نور)**، و**(هواجس)**، و**(نُقطة تفتيش)**، و**(قتَام)**.

دلالات لوائح هذه العناوين تنسحب للتعبير عن نصوص، تحكي قصص الخوف، والقلق، والموت، والدَّمار، والجوع والعطش، والفقر المُدقِع، وتنكفئ الحياة للبحث عمَّا يُقيت البُطون، ويحفظ البقاء فقط. ولم يعُد هناك من مُبرِّرات للدِّفاع عن شيء.

والقضيَّة الثَّانية الِاجْتماعيَّة؛ فتتمحور نُصوصها، وتغوص في القضايا الأُسريَّة، والِانْحرافات جَرَّاء البطالة والتَّعاطي، جميعها تنطق باسم الفقر اللاَّئحة الأبرز، وهناك تبرز المشاكل الِاغْتراب، وأثرها التربويّ على

الزَّوجة والأولاد، وصراع الأجيال من خلال التفاوت بالنَّظرة إلى الحياة بين القديم المُحافظ الجامد، وبين الحديث المُنطَلِق في دروب الحياة.

بمتابعة للعناوين تقود القارئ إلى متاهات الخَلَل الِاجْتماعيِّ:

(المخلوع): يعالج قضيَّة التَّفاوُت في المستوى الثَّقافيِّ بين الزَّوج والزَّوجة، وتنهى حياة الأسرة بالمُخالَعَة.

(مناورة): طلبات البيوت التي لا تنتهي مع ضيق العيش والرَّواتب الضَّئيلة، والتي لا تتناسب مع عدد أفراد الأسرة، وغلاء المعيشة، والأب الذي أقلع عن التدخين؛ بإلحاح من زوجته لاستثمار ثمن الدُّخان في الأساسيَّات.

(غُربة): الزَّوج الذي سافر لسنوات طويلة، وعودته ليحصل التبايُن، وجمود الحياة العاطفية بينه وبين زوجته، والفجوة المُتباعدة مع أولاده الذين كبروا، عندما كان بعيدًا عنهم.

(مُراهَقة): موت الأمِّ، وتركت خلفها طفلة كبُرت، وكانت في بداية تفتُّحها ونضجها، ومشاكل المُراهقة، وحَيْرة الأب بتربية ابنته،

والِاسْتعانة بخالتها، لمُساعدتها في توعية البنت المُراهقة، التي كانت نافذتها قُبالة نافذة جيرانهم، وتعلُّقها بابن جيرانهم.

(**اللَّعب بالنَّار**): الصِّراع بين القديم والجديد. الأب مُدرِّس للفنون التشكيليَّة، ينظر إلى حياته وذكرياته، ويقارنها مع طريقة أولاده في اللَّعب واللَّهْو، ومُمارسة نشاطاتهم.

(**الخريف**): الرَّجل العجوز يحتسي مرارة حياته على ذكرى زوجته الرَّاحلة.

(**اِحْتراق**): الغيرة والحسد ونتائجهما على الأفراد والجماعات، واِنْعكاساتها على واقع حياتهم.

هذه الطَّائفة من النُّصوص؛ تلفت النَّظر إلى الزَّوايا المُعتمة في سُلوكات الأفراد، والأُسَر، والجماعات البشريَّة، وإن اِخْتلفت البيئات؛ فتأثيرات وسائل التواصل الِاجْتماعيِّ، اِنْعكست بآثارها السلبيَّة على حياتهم بشكل عامٍّ.

جميع النُّصوص بواقعيَّتها الِاجْتماعيَّة، جاءت لِتُعالج خفايا منسيَّة في زحمة الصِّراعات، وقد كان الدَّوْر الأبرز لِلُّغة السَّلِسة في التعبير عن مكنونات الكاتبة، وهي تسعى للتأشير في سبيل الإصلاح والمُعالجة.

الجدير بالذِّكر أنَّ جميع نُصوص المجموعة؛ تحكي بأنَّ الكاتبة "**ميسون حنَّا**" مُنتمية إلى قضيَّة، لا تُفارقها في جميع كتاباتها السَّابقة، وتبيَّن ذلك من خلال مُتابعتي بقراءة مُنتَجها الفِكريِّ القصصيِّ، والمسرحيِّ، ونُصوص الخواطر.

ـا 9\ 6\ 2025

العـــودة

دمية وشال (1)

عدنا إلى مقرنا، بيتنا وجدناه حطاما، بحثنا بين الركام علنا نجد شيئا من متاعنا ننتفع به ... هذه دمية ولدي، وهي على شكل شرطي مسلح، كان ولدي يتخيل نفسه يحارب العدو... استشهد الصغير، وبقيت دميته، ناولتها لابنتي التي تقف بجانبي، أمسكتها وتنهدت ثم وضعتها جانبا، سنحتفظ بها للذكرى، ومن يدري قد تتحرر البلاد، حينها سيكون للدمية رمز جديد، وأهمية إضافية تجعلنا حريصين على سلامتها الآن، التفت حولي، شال زوجتي الشهيدة ممزق على كنبة مكسورة،

تناولته ثم أمسكت الدمية ولففته عليها، وركنتهما في زاوية، تذكاران عزيزان على قلبينا، فهذه ابنتي نجت من فم الموت بأعجوبة، حيث كانت تجلس قرب أمها التي تضم الصغير، استشهدا معا، وبقيت فاطمة تتجرع مرارة الحزن.

تفتلنا في المكان، لمحت فاطمة دفترا على الأرض، تناولته ونظرت إليه باهتمام، مدون فيه برنامج الدراسة، قرأت: الأربعاء: لغة عربية، تاريخ، رياضة، علوم، لغة إنجليزية. أُنظر يا أبي، لكن لا وجود للمدرسة، أين سندرس يا ترى؟.

قلت: اِبحثي يا بنتي لعلنا نجد شيئا يدلنا أين ستفعلون ذلك؟

قالت: أنت تمزح. قلت: نصف المزاح حقيقة يا ابنتي، هكذا

تعلمنا الحياة، الفرحة الظاهرة تخفي بين ثناياها حزنا دفينا، ولكن لا تقلقي ستواصلون التعلم، لن تتوقف الحياة.

حقيقة لن تتوقف، فاطمة تدرك هذا جيدا، ولكنها تكبت حزنها، أحيانا تبدو متماسكة أمامي، هي صعيرة وتتصرف بحنكة امرأة عركتها الحياة، ما مر بنا ويمر الآن يدعكنا، ويطوي نضارتنا، ويزيد في عمرنا ضمنا، وهما يوازي حقيقة حزننا فنكبر، ورغم كل هذا تكبر معنا أمانينا، و ... نعم أمانينا ونبتسم رغم كل شيء، وسنفرح فرحة تنسينا ولو لحين، لكننا دفعنا ثمنا باهظا في أعز الناس علينا، قُصفت بيوتنا، ومدارسنا، ومستشفياتنا، ودور عباداتنا، وسُفكت دماء أحبتنا، ولا أحد

يستطيع أن يعوض فقدنا لهم، ومع ذلك سنسرق فرحتنا، وسنشعر بنشوة النصر، وسنفرح لأننا صامدون، على ركام بيتنا سنعيش، ها نحن نمهد الأرض، في زاوية لائذة قرب هذا الحائط المتهدم، ولا سقف يظللنا، لكن السماء رحيمة بنا، سنمكث هنا شأننا شأن الكثيرين ممن تهدمت بيوتهم، لكنهم لم يتشردوا، عادو إلى حطامها يقيمون... أزحنا الركام، وسوينا المكان، وجلسنا منهكين، وضعنا الدمية الملفوفة بالشال بيننا، ركناها باحترام ووقار، وابتسمنا ننتظر الآتي.

عودة ملغومة (2)

عدت للديارأبحث عن ذوي الذين تركتهم في رفح، وغادرتهم أيام السلم لآعمل في غزة، كنت موظفا هناك، أزورهم أيام العطل، وعندما بدأت معركة طوفان الأقصى مكثت في غزة، لم أتمكن من السفر إليهم ، وانقطعت أخبارهم عني، كنت أمني النفس إني سألقاهم عندما تتحسن الظروف، وما إن توقف إطلاق النار بين الطرفين حتى عدت أسابق خطواتي لأجد بيتنا حطاما، والبيوت حوله لا وجود لها أيضا، جلست على حجر واجما، شاردا مع أفكاري التي تؤرجحني في كل ناحية ... ماذا

لو ...؟ أيعقل أن ... ؟ ولم لا ... ؟ لا لا ... الأرجح أنهم التمسوا مكانا آمنا ريثما تتغير الأحوال، لكن أين هو المكان الآمن؟ كل شيء على أرضنا كان مستهدفا ... استبيحت بيوتنا، ومدارسنا، ورياض أطفالنا، ومستشفياتنا، ودور عباداتنا، حتى مقابرنا لم تسلم، فكرت أين أهلي يا ترى؟ لا مفر لهم ولا مقر، شعرت بحزن عميق وأد شعوري بنشوة نصر مؤزرة أحرزها ثوارنا ... غصة تقف في حلقي وتحبس أنفاسي، لكني لم أبك، جفت دموعي، لم أستطع ذرف دمعة واحدة ، لمت نفسي على هذا الجحود بحق أقرب المقربين لدي، أمي وأبي وأخوي، منيت النفس أني سأبحث عنهم عند الأقارب، لكن أين وكيف

أصل إليهم؟ وهل أقاربنا أحياء أم ... ؟ فجأة لمحت حذاء مهترئا، اقتربت منه، لعله يعود لأحد أخوي، فرحت كونه مهترئا، فهذا دليل أن صاحبه مشى به طويلا ... ابتسمت آملا أن يكون على قيد الحياة، لقد مشى بهذا الحذاء حتى اهترأ... ولكن لماذا يرميه... ؟.

هل كان نائما، حتما لن ينام منتعلا حذاءه؟ وهل أُخذ غيلة ودُمل تحت الركام؟ استعذت بالله من الشيطان للوسوسة التي استحوذت على تفكيري، لكن هذه ليست وسوسة، إنها تحليل منطقي لأمر قد يكون حصل فعلا! وماذا عن بقية أفراد العائلة؟ هل انهال البيت عليهم هل هم تحت الركام؟ وأنا

أجلس على أجسادهم المطمورة هنا تحت قدمي ، يا لهول ما أفكر به! أمسكت الحذاء وسألته عن صاحبه، ولما لم أحر جوابا استشطت غضبا، صرخت به، هززته، ومزقته، ثم تمالكت نفسي من نوبة هستيرية أصابتني لأستجوب حذاء، وأنّى لجماد أن ينطق؟ تجولت في المكان إذ بيد آدمية تبدو أمامي، اقتربت منها، نبشت حولها، تجسدت أمامي جثة والدتي، نظرت إليها وقد انعقد لساني، جلست أمامها متبلما ثم قبّلت رأسها، أردت أن أقرأ عليها آيات من القرآن الكريم، لكني مضطرب ومرتبك، نسيت حتى سورة الفاتحة، بعد صفنة طويلة حفرت حفرة واسعة، واريت الجثمان بخشوع، أيقنت أني سأنبش الأرض

لأنتشل جثامين أفراد أسرتي تباعا، ثم أحفر لهم الحفر، وأعيدهم إلى جوف الأرض من جديد، لكني سأعيدهم بكرامة بعد أن دفنوا بقسوة وإهمال، سأعيدهم بوقار واحترام، وسأقرأ عليهم آيات قرآنية، لم تسعفني الذاكرة الآن لأفعل هذا على جثمان أمي، ولكن بعد أن ألملم شتات نفسي سأفعل، جلست أمام قبر أمي منهكا، وفجأة انسكبت دموعي بغزارة لم أتوقعها، بكيت... بكيت طويلا.

عدنا (3)

عدنا إلى رفح، اختلط علينا الأمر، تغيرت معالم الشوارع، بصعوبة عرفنا مقرنا ... اقصد مكان العمارة التي كنا نسكن إحدى شققها، ركام، فقط ركام ... نظرت إلى زوجتي التي انهمرت دموعها، خصوصا عندما سألني طفلي ذو الخمس سنوات قائلا: أين بيتنا يا بابا؟ أنت قلت سنعود إلى بيتنا، أين هو؟ نظرت إليه حائرا، لم أحر جوابا بينما مسحت زوجتي دموعها وقالت: بيتنا اِنْمحى ونرضى، لكن حسن ابننا البكر ذو العشر سنوات الذي استشهد أثناء النزوح كيف ننساه؟ كيف

نرضى أن نعود بلاه؟ قلت: توكلي على الله، إنه عند ربه حي يرزق، وحسبنا الله ونعم الوكيل، قالت: هل سنتخذ هذا المكان مأوى لنا؟ قلت بتصميم: نعم، هو لنا ونحن هنا منزرعون، لكن علينا أن نزيح الركام أولا، أعلم أننا متعبين الآن من عناء السفر، إجلسي نأخذ قسطا من الراحة نستجمع فيه قوانا ثم نباشر العمل، جلسنا على الأرض واجمين، محطمين، منهكين، حتى طفلي الصغير كان يشعر بالخيبة، كان حزينا، حزنه جعله عابسا عبوس رجل عركته الحياة، ببساطة ضاعت طفولته مما عمق حزني، لا أجد كلمات تعبر عما يجيش بصدري من أحاسيس ... جرح الروح أعمق من جرح الجسد، وطفلي

روحه جريحة، احتضنته لعله يشعر بالأمن والأمان، لكن حقيقة لم أجد عبارات أخاطبه بها لأبعد شبح الحزن، فجأة لمحت لعبة، عبارة عن دب صغير، هرعت إليه، وناولته له، وقلت: هذه لعبتك، أتذكرها؟ قال: هذا دُبّي... إنّه شهيد يا بابا اُنظر... ممزق. هل تمزق حسن يا بابا مثله؟ ضممته إلى صدري، وأخفيت دموعي عنه، جلسنا واجمين، كل منا مع أفكاره. فجأة حضر أبو خالد، جارنا في العمارة، تبادلنا السلام، نظرت إليه مستفهما، حائرا، قال: معك حق، عدت وحيدا، هكذا هي الدنيا، أفراد عائلتي احتسبتهم عند ربي شهداء... وها أنا أمامك عدت إلى مقري يا أبو حسن، وشد على يدي وقال: إن شاء الله

لن نبرحه مرة أخرى، أليس كذلك؟ أمس أتيت هنا، وابتلعت صدمتي، وذهبت أبحث عن بعض الأقارب ، لم أجد أحدا، ربما لم يعودوا بعد ... وربما .. العلم عند الله ... لذا عدت إلى بيتي، ثم ضحك وقال: كان بيتا، حسنا فعلتم أنتم بعودتكم أيضا، نظرت إليه مندهشا، مستغربا نشاطه وقوته وعزيمته وتصميمه بينما استرسل قائلا: سنتعاون معا ونزيح الركام، ونسوي المكان، سننصب خيمنا هنا رغم أنف العدو، نهضت من فوري وقد تسللت إلي عدوى همته، شعرت أنه مدني بالطاقة فعلا.

باشرنا العمل بنشاط، شعرت بروحي تتجدد، أدركت حينها أن الحياة لن تتوقف، من عمق المآسي تنبت بذور تنمو لتتفرع منها

الحياة، ونحن بعض أغصانها، ابتسمت بدوري ونظرت إلى زوجتي التي باشرت العمل معنا بهمة ونشاط، استغرق عملنا بعض الوقت، تعبت زوجتي وجلست، جلسنا بدورنا لنأخذ قسطا من الراحة، كان طفلنا يجلس في حضن أمه، التفت إلينا وسأل ببراءة : عمو ابو خالد، أين منى؟ لم تعد معك؟. نهرته، قال أبو خالد: دعه يسأل... منى في السماء يا صغيري. قال: شهيدة مثل حسن؟ فجأة أجهش أبو خالد بالبكاء، نظرت إليه حائرا، أنا جريح مثله، وكيف لجريح أن يواسي جريحا! شعرت بصعوبة موقفي، بينما قال: أنا إنسان يا أبا حسن، إنسان رغم

قوتي وصلابتي، إلا إني في النهاية إنسان. بكينا ثلاثتنا، والصغير ينظر إلينا بحزن، أخيرا احتضن دُبّه وبكى هو أيضا.

الغد موعدنا

الغد موعدنا، أية فرصة تنتظرنا... سيطلقون سراحك مع رفاقك، نعم غدا سأراه، سألمسه، سنتصافح، سيرتمي أحدنا في أحضان الآخر... لا... لا... لن يكون هذا أبدا، علي ألا أظهر لهفتي وأشواقي، علي أن أكبت أحاسيسي ومشاعري، لن أطلق زغرودة ، ولن أغني، الإسرائيليون نبهونا ألا نبتهج، ولا نقيم الاحتفالات، ولا نشعل الأضواء، ولا نتجمع بأعداد كبيرة... لكننا سنفرح بطريقتنا، لحظة اللقاء ستكون جافة، سأصافحك بصمت، ستنسكب دموعي لتعبر عن فرحي وكبتي وحرماني

من التعبير الصادق الذي سينطلق على سجيته رغم أنف العدو، الفرح شعور داخلي لن تطاله يد القمع، الفرحة إحساس، سأكون مغتبطة وسعيدة بلقياك، ولكني سأبذل قصارى جهدي ألا أظهر هذا حفاظا عليك، لكن للعيون لغة، وعيناي ستعكسان ما يعتمل في صدري من شوق ولوعة، وأنت ستلتقطها... آه لا تغضب عندما تراني عابسة، عبوسي سلاح ذو حدين، حزن عليك، وحده الآخر سخط على اليهود الذين يقمعون فرحتنا، الوقت الآن منتصف الليل، متى يبزغ الفجر... غبت عني أربع سنوات، لكن هذه الليلة تعادل عشرين سنة، وأنا أتلظى شوقا وانتظارا، هذه هي المعاناة

الحقيقية، عشرون سنة تمر كسحابة معتمة، ثقيلة، محملة برعود جافة، آه خالتي فاطمة زوجها معتقل منذ عشرين سنة، ولم يفرج عنه حتى الآن، واسمه ليس ضمن المفرج عنهم معك، وهي صابرة، أما أنا فَعِيلَ صبري، الوقت بطيء هذه ليلتي الموعودة بصباح بهيج، أنتظره وقلبي يرتجف، كيف سألقاك، وأمتع نظري بمرآك؟ سأسرح شعري، وأرتدي الرداء الوردي الذي كنت تحبه، ولكن... سأرى آثار التعذيب على محياك، سأرى العذاب في عينيك، سأراك هزيلا، السجناء يعانون من سوء التغذية، وشح الطعام الذي يقدم لهم، ولن تكون أنت مستثنى عن زملائك، شأنك سأنهم، لكني أراك بالنسبة لي

استثناء، سينبض قلبي وسينجذب لك دون سواك، بالرغم من التغيير الذي طرأ على هيأتك، بالرغم من هزالك وضعفك إلا أن هناك شيء وحيد لن يتغير، وهو قوة ترابطنا التي تعمقت مع الحرمان، الاشتياق يزيدنا عشقا، أليس هذا ما يشغل فكرك أنت أيضا؟ أنا حزينة من أجلك، لشحوبك وهزالك، أشعر بالحزن، آه يا لطيفة، كفي عن التشاؤم، لكن هل للتفاؤل فرصة والواقع يفرض نفسه علينا مريرا، قاسيا، ومع ذلك سأدخر طاقتي للقاء الغد، أعلم أني لن أرى انفعالك، ولن أرى في عينيك فرحة اللقاء، لأن عينيك خبا بريقهما مع الموت! هل حقا استشهدت في سجنك يا حبيبي؟ ! أعلم هذه الحقيقة القاسية، البشعة

والجميلة في آن، أنا فخورة بك وبشهادتك، ومع ذلك أراني أرفض تصديق هذا الواقع الأليم الذي سيحرمني منك، لذا أتخيلك بتفاصيلك قبل الاستشهاد، أتخيلك الشاب اليافع، القوي، الشامخ، الممتلئ حيوية ونشاطا... أُعذرني إذ رسمت صورة للقائنا لا وجود لها في الواقع، أبحت لنفسي أن أراك بعين قلبي، وأمني النفس بلقاء مستحيل... آه استشهدت في سجنك جراء التعذيب، وسنستلم جثمانك الطاهر، هذه هي الحقيقة ومع ذلك سأكون سعيدة باستلامك، لأحفر لك مثواك الآخير بيدي هاتين لأدفنك بكرامة، لأزرع وردة على قبرك، أعلم أني لن أراك بعد ذلك بعيني، لكن سيكون مقرك هنا في قلبي إلى

الأبد... ستكون مرجعي وأملي للاستمرار في الحياة... أنا حزينة، أشعر بحزن عميق، لكن لن أذرف الدموع أمام الصهاينة، لن أظهر ضعفي، لذا سأبيح لنفسي التعبير الصادق الآن، وسأسكب دموعي على سجيتها لأحافظ على تماسكي غدا... غدا اللقاء... غدا ألقاك يا حبيبي... غدا... غدا.

الموت الكريم

أنصت إلى دقات قلبي... إلى أنيني... تنهدت، وزفرت زفرة حرّى تعكس ما بداخلي من ألم... أنا كغيري من سكان القطاع، نعيش حياتنا وأعصابنا مشدودة، ننام ولا ندري هل سيطلع الصباح علينا أم سيمتد ليلنا إلى الأبد؟.

ومع ذلك نمارس طقوسنا الحياتية بتصميم من يتمسك بالحياة، طقوسنا مأساوية ... الحصول على القليل من الماء يجعلنا نقف في صف طويل ... نملأ سطلنا، أما الطعام فحدث ولا حرج. نقف ساعات طويلة في التكية، نمد أيدينا بوعائنا؛ لنحصل على

غرفة طعام، ونرضى... نحن الآن في رمضان، لكننا اعتدنا الصيام حيث كنا صائمين قبل رمضان صوما جبريا، مفروضا علينا لشحة الطعام وندرته، الفرق الوحيد أننا في هذا الشهر الفضيل نوينا الصيام لله تعالى مما يضفي على صيامنا معنى روحيا نستشعره ونحس براحة نفسية، خصوصا أثناء الهدنة التي لم تطل، حيث ابتدأ القصف مجددا، لم تمهلنا الهدنة وقتا للفرح، نقول نفرح مع أن كل عائلة من عوائلنا أصابها الكلم، عائلات فقدت معيلها أو أحد أبنائها، أو جميعهم، عائلات أبيدت عن بكرة أبيها... أنا فقدت زوجي أثناء النزوح، وبقيت مع ابنتي ذات الست سنوات، تسألني عن العيد، أوهمتها أننا

سنعيد، ووعدتها أن أفصل لها ثوبا جديدا، تناولت ثوبا قديما لي وقصصته وفصلته لها، فرحت المسكينة، وهي تنتظر قدوم العيد لتلبسه، هي لا تعلم ما تخبئه لها الأقدار، ولا أنا كنت أعلم شيئا.

فجر العيد سمعت الأذان الذي أطلقه شاب في المخيم، تبرع أن يفعل هذا... نهضت سريعا للصلاة، ونهضت ابنتي، نظرت إلي مستبشرة، ألبستها الثوب.

وفجأة ابتدأ القصف، لم يمهلها الوقت لترى نفسها، يد المنون امتدت إليها، واختطفتها، احترقت المسكينة مع فستانها، نظرت إليها بهلع، ولم تمكنني إصابتي أن أضمها وأودعها... أصبت إصابات بليغة، وها أنا في المستشفى الوحيد الذي بقي يستقبل

المصابين والشهداء بلا علاج، ببساطة العلاجات مفقودة، لكني أرقد مستكينة لأني لا أستطيع إعالة نفسي بعد إصابتي، ومع ذلك بي تصميم على مواجهة الحياة، تمسُكنا بالحياة مقاومة، ونحن لا نملك غير هذه الوسيلة لنواصل صمودنا، نحن مشروع شهادة، وعلينا أن نصمد بإرادتنا، نحن نتحلى بشجاعة نادرة صنعتها ظروفنا، إما أن نكون شجعانا أو نموت، وخيار الموت حاصل في الحالتين، فإما أن نموت موتا كريما، ونحن نجابه القصف بشجاعة أو نموت موتا رخيصا بجبن لا نرتضيه لأنفسنا، لنزين موتنا إذن، لنكون شهداء، ومن يستطيع أن يتخطى الشهادة ليعيش سيعمر الأرض، وستستمر الحياة، أنا

أقول هذا وجراحي تنزف، ولا أعرف هل سألتحق بركب الشهداء أو أبقى، ومثلي كثيرون من ينتظرون الموت الكريم، الفرق الوحيد أنني أعبر عما يجول بنفسي وعما أعانيه، وغيري الكثيرون ممن يواجهون الموت بصمت، مُتَحِدّين له، منتصرين عليه بصمودهم وشجاعتهم، يبذلون دماءهم بسخاء، يستشهدون بصمت دون أن ينبسوا ببنت شفة، دون أن يُشهروا شهادتهم النقية، إلا أننا نحن نشهد لهم وسيشهد التاريخ لهم صمودهم، والآن أراني أتألم بشدة، أستميحكم عذرا إذ صمت، لكم أن تتخيلوا نهايتي ... آآآه.

أحلام غَزيَّــة

أنا كغيري من نساء العالم، أعشق الحياة، وأتمنى العيش في سلام، أحب الرغيف الساخن، وأغاني أم كلثوم، وأتوق لسماع نشرة أخبار تبشر بالخير والسلام، والعدالة والأمان... والنصر!. النصر! وأتمنى مشاهدة فيلم عاطفي يبكينا لموت البطلة، ويفرحنا لزواج الحبيبين.

أما نحن هنا نقتنص فرصا لنجاتنا مصادفة من مخالب الموت.. قصف ودمار... ننام ولا ندري هل نصبح أم...؟ حيث القصف والفناء يحصد أرواحنا... أنا فقدت أبنائي الثلاثة

وزوجي، وبقيت بعدهم، وصمدت لا لأني أواجه أصعب اللحظات بثبات، وهذه حقيقة، ولكن لأن الظروف صنعتني ووضعتني أمام هذا الخيار الحاسم، ولم تضع لي البدائل التي نحلم بها نحن الغزيون... السلم والنجاة، وأمام هذا الخيار نصمد رغما عنا، ونسجل صمودا أسطوريا يدهشكم وينهشنا، ويتلف أعصابنا، في الحقيقة هذا واقعنا الذي نصنعه بأيدينا وعزيمتنا وإيماننا بحقنا في الحياة الكريمة، رغم الفجيعة.

أنا الأم الثكلى أدفع ثمن صمودي من خفقات قلبي الكليم، ولا أعرف كيف أسرق لحظات صفاء ذهني لأكشف لكم خباياي، وأوضح صورتي التي هي صورة كل أم فقدت أبناءها، ودفعت

ضريبة انتمائها لهذه الأرض التي نعشقها كما أنتم تحبون أوطانكم وترابكم، الفرق أننا نعشقها حد الموت الذي رسموه لنا بتدابير جهنمية بقيادة عالمية همجية، شرسة، نلوذ في أحضانها ونُدفن إذا أتيحت لنا الفرصة لنشيع بكرامة، ولكننا نموت بكرامة، والموت كما تعلمون حقيقة راسخة لا حياد عنها، لكن أعداءنا يعجلون موتنا، ويسعون لإبادتنا، موتنا قاس، صعب.

امتزجت أشلاء أبنائي، ولم أستطع جمع أوصال كل ولد مفصولة عن أشلاء أخيه، جمعتهم الثلاثة معا، وغيبتهم في باطن الأرض، بشاهد قبر واحد يضم أسماءهم، لكن الشاهد قُصف ودُمر، ولم يعد لي منه إلا الذكرى المحفورة في ذهني ووجداني، ولا أقول

في خيالي... لا حيز للخيال هنا، خيالنا حقيقة تشبه الخيال، وحقيقتنا مبهمة، غامضة غموض الخيال، وما ترونه انتم خيالا هو الواقع.

لنا هنا صور كثيرة تفوق الوصف، لن يصلها خيالكم مهما حلق وبرع في استحضار صورنا، إلا أنها تبقى منقوصة، لن تصل إلى وأدنا، ولا إلى حرقنا أحياء، لن تصل إلى طفل يتضور جوعا حد الموت، ويموت دون أن نجد نقطة ماء نرطب بها شفتيه... لن يصل إلى فنائنا ومحو عائلات منا مُسحت عن كاملها، ولم يبق إلا من يحفظ أسماءها، وقد يمحي هو كذلك عن الوجود .. آمل أن يبقى من يؤرخ لنا ... أنا الآن أحلم بالسلم، متى تنتهي هذه

الحرب لست أدري! ولكن لكل بداية نهاية بغض النظر عن النتائج... هي نهاية، ولكن النتيجة الحتمية هي الصمود، والصمود كما تعلمون عكس الهزيمة، لم يخلق الذي يهزمنا، يقتلوننا نعم، ولكن لا يهزموننا، والآن دعوني أندمج مع واقعي بعيدا عنكم وعن خيالكم الخصب، وأترك لكم تعقبي و كتابتي إذا تحولت إلى جثة هامدة، اكتبوني كما وضحت لكم، وأضيفوا إليه ما يصلكم بعدي من واقع كالخيال، زخرفوه لتقتربوا من الحقيقة... وداعا يا أصدقائي، وداعا.

نـــور

جلست في غرفة المعيشة، الوقت مبكر، الساعة لم تتجاوز السابعة صباحا، نظرت عبر النافذة، خيوط الشمس تتخلل الزجاج، وتصلني فاشعر بانتعاش، الإشراقة جميلة، عندما أضع طفلتي ساسميها نور، الطبيبة تنبأت مع كشف (الألتراساوند) أن الجنين أنثى، نور.. وعلى كل حال لو أخطأ الجهاز، ووُلد ذكر سيكون اسمه نور كذلك، ابتسمت لهذه المفارقة.

زوجي سافر إلى جنين ليزور والدته في المخيم، توسلت إليه ألا يفعل في هذه الظروف الصعبة، والاعتداءات والقصف لا

يرحم أحدا، ثم أنا في الشهر الثامن، وبحاجة لوجوده قربي، لكنه قال: أمي وحيدة، أخي يعمل في غزة، وبعد الحرب انقطعت أخباره، ولا نعرف عنه شيئا، عليّ أن أقف جانبها وأشد من أزرها، لن أطل الغياب، هي زيارة خاطفة، أتفقد أحوالها وأعود. أعددت لنفسي كوبا من الحليب، أنا أتجنب القهوة امتثالا لإرشادات الطبيبة التي نهتني عنها أثناء فترة الحمل، أمسكت مجلتي المفضلة: سيدتي، تصفحتها وذهني ليس معها، فقط شد انتباهي الصور الجميلة دون أن أقرأ حرفا، فكري مشغول... ماذا يصنع في جنين حتى الآن؟

كان من المفروض أن يعود أمس، هل مدد إقامته هناك؟ تناولت هاتفي النقال، وحاولت الاتصال به عبر (الماسينجر)، لا تغطية، هذا اليوم الثاني والتغطية مفقودة، لعله خير... آمل أن يكون كل شيء على ما يرام، فجأة شعرت بألم في بطني، لكن لم يحن موعد ولادتي بعد ! لعله برد أصابني... الألم يشتد، علي أن أذهب إلى المستشفى، لا أحد من أقاربي يسكن قريبا مني، أمي رحمها الله لو كانت موجودة لأرشدتني... آه الألم يشتد، هاتفت جارتي التي لبت النداء.

هُرعت، واصطحبتني إلى المستشفى الذي أتعامل معه وهناك وضعت طفلتي نور... نزفت بشدة مما اضطر الطبيبة أن تبقيني

في المستشفى إلى أن تتحسن حالتي، وأستعيد قواي، لا أقوى على محادثة زوجي عبر الهاتف، طلبت من جارتي أن تفعل وتخبره النبأ السعيد، لكن التغطية لا تزال مفقودة، ودعتني جارتي على أن تعود صباح الغد، المولودة في الخداج كونها ولدت قبل موعدها، لا أدري كم من الوقت مضى وأنا ساهمة مع أفكاري التي تتقاذفني في كل اتجاه... لماذا تأخر ولم يعد حتى الآن؟ هل مدد إجازته في عمله، فجأة رن هاتفي، التقطه ونظرت عبر الشاشة، إنه هو، فتحت الخط بيد مرتجفة وتسارعت الكلمات على شفتي، وقلت:

- "حسنا فعلت أنك اتصلت، مبروك، جاءت نور".

قال:

- "من نور يا أختي؟ تفاجأت حيث أن المتكلم شخص آخر".

قلت:

- "من أنت؟".

قال:

- "أنا ابن عمه.

قلت:

- "أين هو؟". دق قلبي وانزعجت.

قال:

- "أنت مؤمنة بقضاء الله حتما" .

قلت، وقلبي يدق:

- "ماذا تقصد؟".

قال:

- "لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، صدق الله العظيم. قلت وأنا أرتجف: هي حماتي إذن، رحمها الله".

قال:

-"حماتك بخير، هو زوجك، استشهد صباح هذا اليوم، قذيفة تناولت منزلهم، البقاء لله ... أظلمت الدنيا أمام عيني، سقط الهاتف من يدي، ثم فقدت الوعي، لا أدري كم مكثت على هذه الحالة، عندما استفقت وجدت جارتي قربي تواسيني، وتشد على يدي، ثم لمحت أبي يقف هو الآخر فوق رأسي، انتشر الخبر، كيف لا أدري؟".

عدت لبيتي برفقة ابنتي التي لن ترى والدها، هي نور ن لتكن نورا يضيء عتمتي، علي أن أحسن تنشئتها، ستسألني عن أبيها الشهيد الذي استشهد لأنه زار والدته المكلومة بابنها الغزي الذي انقطعت أخباره، ويقال: إنه استشهد والعلم عند الله، لم

نتحقق من هذا النبأ، آمل أن يكون على قيد الحياة ليعود إليها بعد انتهاء الحرب التي لا نعرف متى ستنتهي ! وإلى ما ستؤول إليه الحال بعدها؟!

وضعت طفلتي في سريرها، وأطفأت النور؛ لتبقى نور في مخدعها آمنة، نور يبدد ظلام المشهد الذي نعيشه، فنحن نعيش حياتنا على هامشها، أحيانا يلتبس علينا الأمر، هل ما نعيشه حقيقة أم محض خيال؟.

عندما نفقد أحبابنا بصورة مفاجئة لا نستوعب كيف كان هذا؟ نريد وقتا كي نهضم الحدث ونعيه، لقسوته لا نستوعبه، أنا حتى الآن لا أصدق أن ما حدث هو الواقع، عندما أفكر بعقلي أقر

به، لكن قلبي يرفض التصديق، فأراني تائهة ما بين إنكار وإحقاق. نظرت إلى سرير ابنتي نور... نور... هي نور... سيقودني النور إلى الحقيقة، ساعديني يا نور يا بنتي؛ لأدرك وأعي.

أنت النور في حياتي،

أنت الحقيقة الآن..

أنت فقط نور... نور...

هواجـس

نظرت حولي. ظلام دامس، أيعقل أن يكون هذا مصادفة؟ انقطاع التيار الكهربائي عن حيّنا؛ بات يتكرر كل بضعة أيام، واليوم علي أن أنجز عملي على (الكمبيوتر) لأقدمه للشركة صباح غد، لا وقت للمماطلة... اِصْبر يا وليد، عليك أن تأخذ نفسا عميقا وتنتظر، الانتظار يعلمك الصبر، والصبر شيمة الحكماء، لست حكيما، لكني مجبر على تلبس هذه الحالة... الحكمة... ما أروعها، ما أجهلنا نحن البسطاء عن فهمها، ولكن عليّ أن أحاول، خصوصا الآن ... آه... أشعر بالجوع، ما

كنت سأفطن له وأنا منهمك في العمل، لكن جلوسي مع هذا الظلام يجعلني أتهيأ أي شيء، ليس تهيؤا لكنه شعور يستلبني، نعم الظلام يجعلني أتلمس حاجاتي الخاصة.

العطش، الجوع، البرد، لا لست بردانا لأني متلفع في هذا الغطاء، أضعه على كتفي، المدفأة لا تعمل بلا كهرباء، ولا بديل عندي غيرها، كم هي جميلة عندما تتوهج، وتعطي شعورا بالدفء، نعم بدأت أشعر بالبرد، ربما لأني أفكر بالمدفأة، أو لأني أفكر بنفسي، علي أن أكون لا مباليا تجاه متطلبات الجسد، بالمناسبة البيت خال من الطعام، لا يوجد عندي سوى الشاي، علبة الجبن نفدت صباحا، وأم عامر تدعي المرض، لم تحضر هذا

الأسبوع، وبالتالي لم تجهز لي ما أقتات به، هي عادة تأتي يوم الأربعاء من كل أسبوع، وتطهو لي الطعام، حلة كبيرة، أضعها في الثلاجة، وأتناول منها كل يوم حتى يحين موعد قدومها التالي، هي تدرك هذا، طلبت زيادة... الملعونة... زيادة؟

وأنا بائس، أرسل ثلاثة أرباع راتبي إلى البلدة، والربع المتبقي أعيش به، أدفع أجرة السكن، وأجرة أم عامر، والتبغ، إلا أني أقلعت عنه في المدة الأخيرة.

لكنني الآن بالذات أشتاق لشفة، خصوصا مع هذا الظلام، هاتفي غير مشحون، لذا لن أتسلى وأقلب صفحات (الفيس)، سأدخر الشحن القليل المتبقي للطواريء، قد أحتاج لمهاتفة

أحد ما، مثل من... ؟ أمي؟ أمي تقلق عندما يرن الهاتف ليلا، وتتوجس كل أمر لا يخطر ببال بشر، وأبي سيوبخني لو اتصلت به الآن.

سيقول: لماذا تسهر حتى هذه الساعة المتأخرة، انتبه لصحتك، النوم باكرا يمدك بالطاقة. حقيقة ما هو الوقت الآن؟ حملت هاتفي النقال، ونظرت إلى مؤشر الوقت، إنها الثانية والنصف صباحا، صدق والدي، عليّ أن أنام وأدخر طاقتي للعمل صباحا، لكني جائع، وكما يقولون: الجوع والبرد سلاحان فتاكان، يستنزفان قوتي، آه... ماذا عن أهلنا في غزة؟.

معاناة ساعتين مظلمتين، باردتين، وجوع مؤقت، عندما ينبلج الصباح سأحل مشكلة جوعي، سأشتري ساندويش فلافل ساخن، وأملأ معدتي، وأنسى كل شيء، لكن الغزيون.. كيف يصبرون؟ قلت سابقا أن الصبر شيمة الحكماء، وأهل غزة تعلموا الحكمة، أتقنوها، أجبرتهم الظروف على اعتناقها مبدأ، عندما تُهدّئ المرأة طفلها الجائع، وتحثه على التحمل والصبر، تفعل هذا وهي تتضور جوعا، إنها تعاني وتضغط نفسها كي تبدو صلبة أمام أبنائها لتحثهم على الصمود، هي تدرك عجزها وقلة حيلتها، ومع ذلك تدعي العكس، تبوؤها مركز القيادة يعلمها أن تُظهر عكس ما تُبطن لنستمر الحياة، آه من الظلام

يعلمنا أن نشطح بخيالنا، ونحلل الوقائع، ونستنتج العِبر، والعِبر لا تطعم الغزيين خبزا، عندما أفكر بمآسيهم أتخفف من مصاعب الحياة معي. أشتاق إليك يا أمي الآن، وأفضل طريقة انتهجها لأتخيلك أن أهجع للنوم، وأستحضرك في حلمي، تلفعت في بطانيتي، وتمددت حيث أنا على الصوفة، آه على أهل غزة الذين ينامون بلا غطاء، وفي خيام تخترقها الرياح والأمطار، ولا مدفأة عندهم... أشعر بتأنيب الضمير كوني متلفعا بغطاء، اِصمت يا وليد وتغط جيدا، تذكر أنك عندما تحس بمعاناة الغزيين تشعر أنك إنسان، الشكر لأهل غزة لأنهم منحونا إنسانيتنا الضائعة.

عندما نفكر بمآسيهم نستردها، ولكن ماذا تصنع إنسانيتنا عندما تكون مكبلة بألف قيد من العوائق؟ ماذا يصنع شعورنا وتعاطفنا لهم؟ أقصد ماذا تقدم لهم غير دعم معنوي وروحي ، نعم هو مهم، لكنه لا يطعم خبزا.

الخبز عصب الحياة، واستمراريتها لخدمة هذا الجسد الفاني، الذي بواسطته فقط نستطيع أن ندرك الأمور، وتعبر عن أنفسنا، ونعكس أحاسيسنا، نفعل ذلك فقط عندما نتخذ جسدنا جسرا نعبره ونعبّر من خلاله ، ومن غيره ستتبعثر أحاسيسنا، وتضيع، ستصبح أثيرا لا يصل عالمنا هذا.

لكنه سيمر بعوالم أخرى نجهلها ، سيعبر عالم الأموت الصاخب بحياة لا تصلنا، ذلك العالم الذي سنعبره مكرهين، لا أحد يختار موته إلا الغزي الذي يضحي بروحه، هو يحدس نهايته، يتقدم بصلابة وبأس وثبات، يعرض نفسه للموت مقدم غير مدبر، ينتظر نهايته بشجاعة لا مثيل لها، صموده أسطوري مهيب، يلقننا درسا في الكفاح والتصدي.

فجأة رن هاتفي، انتفضت، حيث أنني لم أتوقع أن يقوم أحد ما بمهاتفتي في هذه الساعة المبكرة من الصباح، والمتأخرة من الليل، حيث الظلام يوحي أن الوقت متأخر.

مؤشر الساعة يدل على أن الوقت صباح مبكر، آه من تناقضات الحياة التي تجعلنا نتوه ما بين ليل ونهار، صبح ومساء ... ما هذا الصبح الذي لا تتخلله أشعة الشمس، ابتعد عن توجساتك الآن يا وليد، نظرت في الهاتف، رقم غير مخزن عندي، فتحت الخط بيد مرتجفة، جاءني صوته: والدي .. وليد نحن في عمان في مستشفى البشير، أحضر حالا، والدتك مريضة، وتبغي رؤيتك... وبسرعة البرق؛ ارتديت ملابسي وخرجت.

سلام لروحك يا أمي سلام، أحمد الله أني لم أتأخر، جئتك قبل أن تفيض روحك، والعجيب أني لم أذرف دمعة لفراقك، موتك أضحى أمرا عاديا وإن جاء مفاجئا، لم اتفاجأ ! موت الغزيين

بأعداد هائلة كل يوم يجعلنا نشعر أن موتنا مزيفا، هم يستشهدون؛ فنستحي من موتنا المتخاذل، أستميحك عذرا يا أمي.

أعلم أنك كنت سيدة مكافحة بامتياز، عانيت الكثير من ضنك العيش، لكنه نعيم بالنسبة لما تعانيه المرأة الغزية، أنت في أحلك ظروفك لا ترتقين لملامسة ما تعانيه هي، لست جحودا يا أمي، لكن لا إراديا أعقد مقارنة بينكما، فأنحاز إليها، أنا البائس أنحاز لغيرك يا أمي، أعذريني.

لكني أعترف أنك وحدك من يملأ فراغ قلبي، وبغيابك أشعر بالفقد واليتم، لا تكترثي بما قلته لك... أنت الآن في ذلك العالم

الصاخب بحياة مبهمة، أطلب منك يا سيدتي أن تواسي أخواتك الغزيات، الأمهات اللواتي لم تتح لهن الفرصة لوداع أبنائهن قبل الرحيل.

سلام لك يا أمي سلام، سلام لشهداء غزة الكرام، والآن اسمحي لي أن أكفّر عن جحودي وأذرف دموعي وفاء وحبا لك ولأهلنا الغزيين.

أذرفها أيضا لما أحسه من مشاعر متزاحمة لا أستطيع حصرها، وإن كنت أتمنى أن أجعلها لك وحدك، لكن خرج ذلك عن إرادتي، سلام لروحك يا أمي سلام.

نقطة تفتيش

ضباب يحجب الرؤية، الأجساد متراصة، الناس يتقدمون إلى الأمام بخطوات وئيدة، أراد الغشيم أن يحث خطاه لا مجال للإنفكاك من بين الجموع، استمر تقدم الشلال البشري بذات الوتيرة البطيئة.

فجأة توقف كل شيء، نقطة تفتيش... المسؤول الكبير في النقطة رفع يده محذرا. سكنت الحركة، كل متسمر في مكانه، إلا ذاك الغشيم، الذي تسلل من بين الحشد متقدما إلى الأمام.

لمحه المسؤول بامتعاض وقلق، الغشيم يواصل تقدمه، مد الضابط يده إلى سلاحه، بينما تقدم الأخير خطوة أخرى؛ مما استفزه ذلك، وأطلق النار فورا مصوبا مسدسه نحو الرأس؛ سقط المغدور على الفور جثة هامدة.

أما الرصاصة فكانت قد اخترقت الجمجمة؛ لتصيب كتف رجل آخر بخدش بسيط، تفشى اللغط، وعمت الفوضى، رفع المسؤول سلاحه مهددا.

ومن غير أن ينتظر أطلق رصاصة في الجو، وأعقبها برصاصة أخرى استقرت في صدر رجل أمامه ليكون عبرة لمن يعتبر، ولا أحد يعتبر،

سقطت كل الاعتبارات والأقنعة، كبت مزمن خلفه الظلم ليستقر في النفوس الحاقدة التي بدأت تظهر تمردها ... والدليل هذا الطفل الذي صرخ أبي، صرخته كانت دالة على الفوران الداخلي المتأجج.

سُحب جثماني الشهيدين من قبل حاشية المسؤول إلى حافة الرصيف. سكون مطبق فرضته هيبة الموت، وصرخة الطفل الذي التصق بجثمان أبيه، ركله شرطي ركلة حادة أدمته، تلقاه رجل من العامة.

وأمسك به ليتفادى سقوطه على الأرض. تفتقت الأعين عن نظرات ساخطة، لكن المسؤول ومن حوله لا يقرؤون لغة

العيون، بل يتجاهلونها عمدا متمسكين بغطرستهم، التي لم تعد تصد الغضب المتفشي.

فجأة انقشع الضباب، مما جعل الشرطة يشعرون بامتعاض شديد، أما الطفل المدمي؛ عندما رأى سيل الدم المتدفق من صدر أبيه المسجى؛ انتفخت أوداجه، وآهاته شقت صدره؛ لتخترق المدى.

أحاطت الناس به كدرع بشري يحجبه من بطش الشرطة....

قَتَـــام

في أمسية رائقة جلست على حافة الطريق أتأمل الغروب، إذ برهط يقبلون، فجأة ركض كبيرهم نحو تلك التلة التي تبعد عن الطريق العام ، نظروا إليه بدهشة ثم تبعه شخص آخر ، ثم آخر.

تجمع القوم، ولحقوا بهم، نظرت إليهم باهتمام وقلت في نفسي: لا بد أن هناك شيئا مهما، حثثت خطاي ولحقت بهم، وجدتهم يتحلقون حول التلة بصمت، اندسست بينهم.

نظرت حيث ينظرون، لا شيء ملفت للنظر، درت حولها لعلي أكتشف أمرا في الجهة المقابلة، لا شيء سوى التراب والحصى، قال الشيخ الطاعن: لا فائدة، لا أثر لما جئت أبحث عنه، تجرأت، وسألت: عم تبحثون يا عم؟ نظروا لي باستهجان وقالوا: هذا هو الغريب إذن! وأمسكوني وقيدوني، وقالوا: هذا ضالتنا.

نظرت إليهم بدهشة ورعب، وقلت: ما أنا إلا عابر سبيل، لفتتني لمتكم، فجئت أستطلع الأمر، قالوا: أنت تؤكد لنا أنك المُستهدَف اللعين، شحطوني وقدموني إلى كبيرهم، العم الطاعن حيث قال : اِجْلدوه مائة جلدة ثم اطلقوه. قال أحدهم: نأخذه

إلى الساحة العامة، ونجلده أمام أهل البلدة؛ ليكون عبرة لمن يعتبر.

قلت: الرحمة يا عم، لم أقترف ذنبا أعاقَب عليه، هو الفضول فقط، قال الشيخ: ها هو يعترف أنه فضولي.

قلت: يا عم عندما ركضت نحو التلة، كنت وحدك تركض ثم تبعك قومك، وأظنهم فعلوا ذلك فضولا منهم لمعرفة سبب توجهك إلى هذا المكان الغامض.

لا أحد منهم يجاهر بالحقيقة مثلي. قال: الحقيقة يا ولدي يجب أن تكون مصانة، ومدفونة في أعماقنا، لا أن نبسطها، ونكشفها على الملأ... ابحث عن المجهول ولا تفصح، وعندما تجد بغيتك

أمامك، تشبث بها واصرخ ملء فيك بقوة ووضوح، وقل: وجدتها، حينذا لن يجرّمك أحد.

قلت: لكن يا عم هل أستحق مائة جلدة؟ فال: لغبائك تستحق، وبعد المائة جلدة ستبدأ مشوارك الطويل لتبحث عن الحقيقة. وفعلا بعد تنفيذ العقاب، والتئام الكدمات والجروح؛ بدأت مشواري، ومن يومها وأنا أجوب الآفاق بحثا عن ضالتي، وإلى الآن أحوم حول نفسي، ولا أجد غير عتمة تغلف قلبي، تشبه عتمة القبور.

شاب شعري، واقتربت من نهايتي، وأصبحت الشيخ الطاعن الذي يدعو لمعرفة الحقيقة، والحقيقة ضائعة، يجب أن تكون

كذلك، وعندما نجدها نكتشف هشاشتها، وضآلتها أمام تطلعاتنا وطموحاتنا فنركنها في زاوية من زوايا النفس، ونبدأ مشوار بحث جديد، وبحثنا لن ينتهي إلا بنهاية العالم.

المخلوع

طريقك مسدود مسدود يا ولدي، أنهى عبد الحليم أغنيته، قفلت التلفزيون، نظرت حولي، فوضى عارمة، علبة سجائر فارغة ومبعوجة على الطاولة، منفضة مليئة بأعقاب السجائر المحترقة.

مرآة صغيرة بها صدع يقسمها نصفين، ملقاة بإهمال، كوب ماء فارغ، أو ربما كان يحتوي على مشروب آخر، لست أدري الآن، المهم هو فارغ، صحن فيه بقايا أكل، ملعقة على حافة الطاولة، إزاحة بسيطة وتسقط، قنينة ماء فيها القليل منه، (ريموت

كونترول) للتلفزيون، وآخر (للستالايت)، علبة دواء لا أدري ما هو، لكني أبتلع منه كل يوم حبة.

هذه نصيحة الطبيب للمحافظة على ضغطي، ولست مضغوطا؛ بدليل أني أسرد واقعي بحذافيره، لكن هل أحسنت وصف الحال؟ لا أعتقد ذلك، أنا وصفت الظاهر والملموس والذي يستطيع أي شخص أن يراه ويفهمه دون إسهابي بذكر التفاصيل المملة مما أراه أمامي.

في الحقيقة أنا لم أذكر شيئا مهما يدل علي، أنا الأربعيني المطلّق، ها... الآن بدأت ألامس كبد الحقيقة، عندما أضفت معلومة جديدة تفسرني، مطلق بفتح اللام ، وليس بكسرها، ببساطة

خلعتني زوجتي، أنا المخلوع... تبرر فعلتها وتقول: خلعتك لخلاعتك، وما خلاعتي سوى أني أحببت ابنة الجيران من بعيد، هي لا تعرف، ولا أحد يعرف، ولا حتى أنا عرفت ذلك كما أعرفه الآن، كنت أحبها بكتمان شديد، بيني وبين نفسي،وأقضي الساعات أتأمل صفحتها على الفيس، تشارك بمواضيع ثقافية، أنا أعشق المرأة المثقفة، كنت أفتقد دوما لحديث غني حول أمور فكرية... على صفحتها قرأت مقالا عن أدب نجيب محفوظ، كنت أعشق هذا الكاتب العظيم، وقرأت أبيات شعر من أشعار السياب، ودرويش، وأدونيس، وشذرات.

وأقوال جاءت على لسان كونفوشيوس، سألَت زوجتي ، أقصد التي كانت زوجتي: من هذا فوشيوس؟

الجاهلة لم تسمع به، قلت لها ممازحا: هو أخ أرسطو. قالت: من هذا الآخر؟ طفح الكيل، عايرتها بها، قلت: اُنظري في صفحة هذه الفتاة الرائعة، كل شيء تشارك فيه جميل، وغني بالمعرفة، هذا دليل ثقافتها ورقيها، وأنت لا تشاركين إلا بالموضة، وأفضل ماركة لطلاء الأظافر، و... قاطعتني، وصرخت: أنت تقارنني مع هذه الممسوخة، إنها شبح، لا شيء جميل في شكلها، قلت: أنا لم أنتبه لتفاصيل شكلها، لكنك لفت نظري الآن إليها، نظرت في الهاتف، وقلت: رشيقة القوام، أنيقة، اُنظري هذا

غلاف صفحتها يضم صورة واضحة. قالت: هذه صورة قديمة عندما كانت قي مقتبل العمر، هي الآن ثلاثينية بائرة، وقوامها لم يعد ممشوقا كما تراه الآن هنا، اِسْألني أنا التي أعرفها.

قلت: ما لنا ولقوامها، المهم فكرها. قالت: هي تجادل بتوافه الأمور، ولا يغرنك ما تكتبه على (الفيس)، هي فارغة شأنها شأن بنات جيلها، ونظرت إلي بتحد.

أدركت أني جرحت إحساسها، وأردت تلطيف الجو بيننا، قلت: دعينا منها الآن، وأخبريني: ماذا جهزت لنا اليوم على الغداء؟.

قالت: لن أخبرك قبل أن تقفل حساب هذه الفتاة عن هاتفك.

قلت: لن أفعل ذلك، هذه قلة ذوق مني لو فعلت. قالت: يا أنا يا هي.

قلت: اِعقلي يا وصال، لا يجوز أن نعلن جفاءنا لجيراننا بغير سبب معقول.

قالت: أبوها يحترمك، لكنك تنظر لمفاتن ابنته، وهذا سبب كاف لأطلب منك وضع حد لهذه المهزلة، اِقْفل الحساب. ضحكت لغيرة زوجتي غير المبررة، وعبثا حاولت أن أشرح لها تفاهة معالجتها للأمر، وأقسمت أني ما حدثتها غير تلك الأمسية عندما زرناهم في منزلهم، وكانت جالسة معنا، وتناولنا

بعض المواضيع عن الأدب الروسي، عن دوستويفسكي، وتشيخوف، فأنا أعشق الأدب الروسي وهي كذلك، كانت زوجتي تنظر إلينا ببلاهة.

هذه الهبلة التي لا تعرف نزار قباني حتى، وبالفعل كنت قد عقدت مقارنة بينهما، وندمت كوني لم أتأن باختيار موفق، لكن حتى تلك اللحظة كنت راضيا بقسمتي.

أكرمنا أبوها وأحسن ضيافتنا، كان في السابق يأتي لزيارتنا وحيدا، وهذه المرة الأولى التي أجالس فيها ابنته، وأتحدث معها، وأكتشف سعة اتطلاعها وثقافتها، ورقيها، ومع ذلك لم أنظر إليها إلا كنظرة الوالد لابنته، وخصوصا أني أحترم والدها،

لكن زوجتي قلبت البيت (فوقاني تحتاني)؛ عندما عدنا إلى منزلنا، واتهمتني بالمجون، حاولت أن أبرر موقفي حيث أن حديثي لم يتجاوز تشيخوف، و.. قالت: كان حديثك مقتصرا معها فقط، ولامتني كوني أضفتها صديقة على (الفيس)، هي التي جعلتني فيما بعد أتصفح صفحتها بإمعان، دفعتني إليها والآن تصرخ وتحتج، وعبثا حاولت أن أشرح لها أن علاقتي معها تسد فراغ حاجتي للمعرفة والثقافة، عدا ذلك لا حيز لها في قلبي.

قالت: ما هي إلا البداية، والتالي سيظهر فيما بعد، وأنا لست من الجهالة كي أنتظر تطور الأمور بينكما وأسكت! ضحكت من

تفاهة تفكيرها، وتعمدت في الأيام التالية لنقاشنا، أن لا أفتح سيرتها، مع أني كنت أفكر خلسة فيها، وزوجتي بِقَرْنَيْ استشعارها؛ أدركت ما يدور بذهني، ويشغل تفكيري، وتحدتني عندما أسدلت الستارة على نافذة بيتنا التي تطل على بيتها، تأكدت هواجسها، هي جاهلة عموما، لكنها ذكية عندما تشغل فكرها الاستخباراتي، فتَحت الستار ورمقتني بتحد، والشرر يتطاير من عينيها.

حاولت أن أشرح لها أنها بتصرفاتها هذه تدفعني إليها، لم تفهم تلميحاتي ، وأخيرا أعلنت حربا معلنة صريحة، وعندما بحثَت أمري مع صديقاتها التافهات؛ أشرن عليها بخلعي، وهكذا

خُلعت، والآن أعيش وحيدا بلا زوجة، وابنة الجيران تناديني عمو... تمنيت لو أنها أكبر قليلا، أو أني أصغر سنا؛ لتقدمت لها الآن، ضحكت كوني شطحت بتفكيري للبعيد، المستحيل.

لا مستحيل مع الحياة، بدأ قلبي ينبض، وعندما حاولت أن أجمع شجاعتي وأخطو خطوة حاسمة، تلقيت دعوة من والدها لحضور حفل خطبتها، فرحت لها على كل حال، وتمنيت أن يكون خطيبها ندا يلها، مثقفا كما هي لتستمر الحياة بينهما سلسة بلا نكد.

تعمدت أن أرسل بطاقة الدعوة لخالعتي علها تدرك فداحة هدمها لبيتنا بلا مبرر، لكن هل حقيقة كان ذلك بلا مبرر... لست أدري.

مُعلَّق أنا بين السماء والأرض

نظرت حولي، ضباب، فوضى، أصوات فرامل الحافلات، صراخ أطفال، لغط المارة، أشعر بانزعاج، سددت أذني حتى لا ألتقط شيئا من الأصوات حولي، لم تنجح حيلتي، اخترقتني الأصوات وشوشتني، استسلمت، سحبت يدي، ومددتهما أمامي، ثم صالبت وضعهما، وطوقت بهما كتفي.

فجأة شعرت براحة إذ احتويتني ... لحظات فرحي مرت بسرعة البرق، الحصول عليها، أقصد على الراحة عسير وشاق، دسست يدي في جيوبي اتقاء البرد.

وبددت وَهْم السعادة التي شعرت بها آنيا، أدرك تماما أن السعادة وهم، وهم جميل ... لكنها حقيقة كذلك، فمن يوهم نفسه بها تتسلل إليه، تدخل قلبه، تعبر دون استئذان، لكن عليه أن يفتح صدره لها.

حينئذ يتحول الوهم إلى حقيقة، أدرك هذا جيدا، أستوعبه، لكني أخشاها، أخشى السعادة المتطفلة، التي تزورنا نحن المسحوقين الذين لا يحق لنا امتلاكها، ظروف حياتنا وواقعنا ينأيان بنا عنها.

قد تزورنا في لحظات غفلتنا، في أحلام يقظتنا، وتكون زيارة خاطفة، لا تفتأ تتركنا نتجرع يأسنا، ايه ... لنعد إلى الواقع ....

الحقيقة الوحيدة التي لا أستطيع غض الطرف عنها هي فشلي، أنا إنسان فاشل، لم أنجح بأية مهنة عاقرتها.

السبب قد يكون خارجا عن إرادتي، قد يكون بسبب جور صاحب العمل مثلا، أو بسبب وشاية حاقدة، أو تأخري عن الوصول إلى عملي بسبب رداءة الجو، أو سوء المواصلات، أو تقليص الأيدي العاملة، وهذا هو الأهم، مع أن وظيفتي لا استغناء عنها.

أنا ببساطة آذن الشركة، ومع ذلك ارتأى مدير الشركة الاستغناء عني، إذ طلب مني أن أحضر كل يوم خميس، أنظف الشركة، وأتقاضى أجرا زهيدا، وهكذا يختصر راتبي، ولا يكون ملزما

بتسجيلي لدى الضمان الاجتماعي، ورضيت. قلت أفضل من لا شيء، ومالك البيت الذي أقطنه؛ أشار علي أن أنظف درج العمارة، وأتقاضى أجرا، بل وأرشدني إلى عمارات أخرى أقوم على خدمتها.

أنظف الدرج مقابل أجر زهيد لا يسد احتياجاتي، والحصول عليه معقد، أطرق الأبواب؛ لأستجدي أجرتي... حقي... وأُقابل بالصد غالبا.

أحصل على القليل وأرضى، أفضل من التسول، لكني الآن يائس، ولا يأس مع الحياة كما تعلمون، وأنا أحيا حياة مهمشة مع فشلي، ما كنت متقاعسا، ولا كسولا، كنت أركض وراء

لقمة عيشي، ومع ذلك ما وصلت إليه هو طريق مسدود، وهكذا تسلل اليأس إلى قلبي، وسرق حلمي.

لا تستغربوا فأنا أقترف الحلم أحيانا كبقية خلق الله، أقترفه لأنه محظور، وكل ممنوع مرغوب فيه، والحلم جميل، أخاذ ... لكن نحن البسطاء محظورة علينا المتعة كما أسلفت سابقا، وأحلامنا اغتيلت، أو على الأقل حلمي وقع عليه هذا الفعل الشنيع، الذبح، مذبوح أنا حتى النخاع.

قد تقولون: كيف؟ ولماذا؟ . أقول: حلمت ببناء أسرة لآكمل ديني كما يقال، لكن كيف ولا مستقبل أمامي، وأجري زهيد لا يفتح بيتا أحقق فيه حلمي المستحيل، والفلافل التي أتناولها

يوميا أتلفت معدتي، أنا أعاني ولا أعرض نفسي على الأطباء، ببساطة لا أملك أجر طبيب، أدركت أن حياتي تافهة لا قيمة لها في مجتمع لا يعترف بي ولا بهمومي، لم أعد أرغب في العمل الشاق الذي أقوم به، خصوصا بعد أن سقطت على الدرج،وكُسرت ساقي، واضطررت أن أستلف أجر ثلاثة شهور مقدما مما أتقاضاه من شطف الدرج لأتعالج، والشركة استغنت عني نهائيا، وطبعا لم أستطع أن أواصل العمل بعد ذلك لأني أعاني من ألم الركبة، والظهر.

والآن أجلس في ركني الذي اعتدت الجلوس فيه على طرف الزقاق الذي يحتويني، أجلس أحيانا، وأبكي أحايين، أشعر

بالوحدة رغم انتشار الناس حولي، وحيد أنا كمن في قبر، بيتي هو قبري.

غرفتي الرطبة، المعتمة في أقصى الزقاق هي قبري، ها قد وضحت هذا اللغز الذي يحيركم، أعرف الفضول الذي يعتريكم، لتعرفوا من أنا... أنا غصن مبتور من شجرة ميتة، فقدت والدي وأنا يافع في الثامنة عشر من عمري، وأنا الآن في الثلاثين، لم تتغير ظروفي.

مهما حاولت أن أصعد أراني مشدودا إلى قعر بئر عميقة، أكاد أغرق فيه، لكني أقاوم دون جدوى، وأخيرا اهتديت إلى حل بسيط يريحني، حلي هو سري الذي أحتفظ به، وبما أن حبل

الوداد امتد بيننا ، سأطلعكم عليه. اشتريت حبلا بآخر قرش في حوزتي، أحتفظ بحبلي تحت فراشي، حبلي هو ثروتي الحقيقية، هو طريقي إلى الأمجاد السماوية، هو الذي سينتشلني من قعر البئر إلى عالم لا محدود.

قد تكون عبارتي مبهمة، لكنكم ستفكون لغزها عندما تفوح رائحة منتنة من بيتي ذات صباح، حينها ستكسرون الباب وسترونني أتدلى، وحبلي محكم حول رقبتي، معلق أنا بين السماء والأرض.

سأكون مبتسما، سعيدا، ألم أقل لكم أن حبلي هو طريقي إلى السماء؟ لا تندهشوا، هذه نهاية معقولة، أنهي بها حياة قاسية

قتلتني، وأنا على قيدها شبحا... والآن سأطلب منكم طلبا أخيرا: ترحّموا عليّ، ترحّموا على بائس لم تلمحوه، وهو بينكم في حياته، لكنه لفت أنظاركم إليه في مماته، ترحموا عليه ثم انسوه.

مناورة

سقطت حبيبات البرَد، والأصلع يركض هاربا من ضرباتها، الريح شديدة، تمعن في الإيذاء، وهولا يعتمر غطاء على رأسه يقيه سوء العاقبة، أصيب بخدوش في رأسه، أخيرا وصل بيته، نظرت إليه زوجته باستهجان، واستدرارا لمزيد من العطف، أراها حبيبات برَد متشحة بلون دمه، كان قد جمعها في جيبه، فعل ذلك حقيقة لابتزاز شفقتها إذا صح التعبير، وهي مقلة في إظهار عواطفها عادة.

إنها غالبا تشكو ضنك العيش، وتتذمر متهمة إياه بالتقصير، هي عبوسة بطبعها، ونادرا ما تبتسم، قد تفعل هذا عندما يكون معتل المزاج، متوعكا، مع أنها حنونة، لكنها لا تظهر حنانها إلا في المناسبات البائسة.

اليوم يوم بؤسه، وخصوصا أن الشهر قد انتصف، والراتب تسلل، وهذا الوقت المناسب لتصب عليه جام غضبها، وتُسمعه موشحها؛ مطالبة إياه بالالتزام بمصاريف المنزل.

تسللت يده إلى جيبه، لمس علبة السجائر، انتفض، ثم سحب يده، تعمد ألا يريها العلبة لئلا تُسمعه ديباجتها في كلام منمق لتبعده عن التدخين الضار بالجيب والصحة، أما هي الذكية

كانت قد تنبهت لحركته، وحدستها، ناولته قداحة، وقالت: أخرجها من جيبك، لكن عليك أن تحرص على توفير الخبز أولا، قالتها بلطف هذه المرة.

نظر إلى علبة السجائر باحتقار، وشعر للمرة الأولى أنه يتجنى على عائلته عندما يصرف نصف راتبه على السجائر، نظر إلى زوجته بانكسار وندم.

ربتت على كتفه، وسحبت علبة السجائر منه ورمتها من النافذة، نظر إليها باستغراب، ولم بنبس ببنت شفة، ابتسم في سره إذ أدرك أن خدوشه شفعت له، بأن جعلت المواجهة باردة هذه المرة، ولكن هناك أيام طويلة تفصله عن موعد استلام الراتب،

وغدا سيبرأ ويتعافى، عليه أن يتدبر أمره بشفاعات أخرى،

أدركت ما يجول بفكره، وأرجأت عراكها معه إلى إشعار آخر.

غُربـــــة

أواجه الواقع القاسي الذي جمعَنا بعد غياب، عشر سنوات مضت وأنا في غربتي، أشتاقكِ، وأمني النفس بلقاء قريب، وأخيرا عدت إليكِ... لم تفارقيني.

كنت دائما أستحضرك في خيالي، والآن أراك مختلفة عن الصورة التي رسمتها لك، قد تقولين لماذا رسمتك؟ لأني افتقدتك في غربتي، كنت أستحضر ماضينا، أيامنا ولياليا، أتذكر حنانك، ولهفتك عندما أعود من عملي وتلاقيني بالباب بشوق واشتياق، كنت أستحضر هذا ، ربما بالغت في تصوره، لكني كنت أحوم

حول حقيقتك، وإن زينتها وبهرجتها فهذا يصب في صالحك، وليس ضدك، كنت أتخيلك تبتسمين ابتسامتك الملائكية، الطفولية، فأنتعش ويرق قلبي شوقا إليك، أما الآن أراك مختلفة... تقطيبة على الجبين لا تزول حتى وإن ابتسمت، ربما هذه التقطيبة صنعتها السنين... لا تنظري إلي بجمود هكذا... نظراتك تعكس عتبا، أو غضبا أو عدم رضى.

كنت في غربتي أتلظى شوقا إليك، أغفو على صدرك، وأنا أحتضن وسادتي متخيلا أنها أنت، أُعذريني ... أنت أجمل من جماد أشبهك به.

حبيبتي دعيني أغمض عيني عندما أحدثك، لأرى امرأتي المنغرسة في قلبي، والتي هي أنت كما أتمناها لا كما أراها عندما أفتح عيني، أحدق بك وأرى الفرق شاسعا بين المرأتين، أنت واحدة في اثنتين، أولاهما هنا في رأسي والثانية أنت أمامي.

أنتِ التي تعيش في داخلي تتفوق عليك بحرارة أشواقها، وروحها النقية... أُعذريني لا أرى فيك خبثا لا سمح الله، أنت نقية كما عهدتك.

لكن نقاءك يخضع للواقع الذي يجعلك تتلونين حسب الظرف الذي يحتويك، أما امرأتي التي تعيش في صدري لا يغيرها شيء، تبقى كما هي، تتصدى تقلبات الزمن ولا تنحني، ولا تنكسر،

ربما أنت بواقعيتك تتفوقين عليها، أنت تلينين وتهادنين وتقاومين وتتعبين فتظهر تلك التقطيبة التي أشرت إليها سابقا، تظهر واضحة لتستمر الحياة، أما الحياة الموازية التي في ذهني تتحدى الريح، وتخمدها بذات التصميم والعناد ولا تتغير، تبقى كما هي بلورة غير مُخترقة، وهذا مستحيل، أدرك هذا حبيبتي الآن، بعد أن عاشرتك طيلة شهر بعد عودتي ، وابتلعت صدماتي بك.

الآن أدرك واقعيتك وحبك الحقيقي الذي لا أشك فيه، وأراه مختلفا عن حب وسادتي أو امرأتي الموازية... امرأة الخيال؛ لذا أستميحك عذرا أن تمهليني الوقت لأستوعبك أكثر، لأني أشعر

أن استمرارنا معا مهدد بالفشل والزوال، وهذا لا أرتضيه لك ولا لي، ولكن إن وجدت إن رأب الصدع بات مستحيلا؛ سأعود من حيث أتيت.

سأعود لغربتي لأحافظ على علاقتنا متينة كما أرسمها وأتخيلها، وهكذا أحمي علاقتنا ... في البعد ستبقى دافئة، حميمة، أمهليني الوقت الكافي وسنرى بعدها ما سيكون.

قالت: سمعتك، وأصغيت لك، والآن دعني أكاشفك أن ما تعانيه أعانيه أنا أيضا، عشت في حياتي أسطورة رائعة، كنت أتذكرك في كل مرة يذنب أحد أبنائنا، وأضطر لمعاقبته، وأتصور أن وجودك قربي كان سيسهل الأمر، لأنك ستصوب الوضع

بسهولة لا أتقنها أنا، والآن بعد أن كبر أبناؤنا اختلفت طريقة التعامل معهم.

انتظرتك لتكون بقربهم، وتساندهم؛ فخيبت ظني خصوصا؛ عندما لجأ إليك ابننا البكر قبل يومين يسألك عن أمر يزعجه قلت له: اذهب لأمك واسألها.

انكسرت الصورة التي رسمتها لك... الأب الحامي، وقبل سفرك كنت حنونا، كنت تراني جميلة، وتقبل مني هفواتي، وتستوعب تقلباتي.

والآن تريدني بلا أخطاء. كنت ترى أخطائي وتغض الطرف لأنك تحبني، والآن الحب لا يشفع لي ... دعني أقول لك أني لا

أشفع لك زلاتك أيضا، ببساطة كنت بطلي الذي لا يقهر، كنت صلبا، اعذرني لا أتهمك بضعف في شخصيتك، أنت لا زلت صلبا متماسكا كما عهدتك، لكن الصلابة إذا زادت عن حدها انقلبت إلى ضدها ... الزمن يفعل فعله معنا، وعلينا أن نواجه الأمر بشجاعة ... كنت حبيبي ولا زلت كذلك، لكني لا أعرف لماذا أراك مختلفا، التبس علينا الواقع، فأصبحنا غريبين، لكن مهلا دعني أخبرك:

أنك عندما أرسلت لي المال، قدرت تعبك وجهدك، وحافظت عليه وبنيت بيتنا هذا الذي تراه، كنت أتابع العمال، أقارع طلباتهم، وأشعر بغيابك ، لو كنت موجودا لتابعتهم وأرحتني،

لكني أراك اتكاليا غير مبال بتصريف الأمور، وأشعر بالأسى كون الرجل الذي يعيش في خيالي، والذي هو أنت مختلف عما أراه أمامي الآن.

هذه هي الحقيقة، شعور متبادل، وخيبتنا متبادلة، كنت أستحضر دقائق الأمور الصغيرة التي جمعتنا سابقا، وألمعها، وأبهرجها، والجميل أننا ندرك معا ماذا صنعنا بأنفسنا، ألا يجدر بنا أن نعود للواقع، ونترك بهرج الخيال للخيال، الأجدى أن نتقبل زلاتنا، ونتعايش معها، قد نجد في هذه الحياة متسعا لنا لنحيا ... وأطفالنا كبروا وهم بحاجة لنا غير مفترقين، أضع هذه الأحجية أمامك، وأنتظر منك حلا يصب في صالحنا،

هروبك وعودتك لغربتك ليس حلا، الحل هنا إما أن نبقى معا

أو نفترق... لك أن تقرر مصيرنا وأنا سأرضى بقرارك.

مراهَقة

باعد الزمة التي عقدها بين حاجبيه عندما دلفت الحجرة، أومأ لي أن أجلس، جلست بصمت وطأطأت رأسي ندما، ابتسم بدوره وقال:

التراجع عن الخطأ فضيلة، غفرت لك هفوتك على ألا تعيدينها، عليك أن تكوني أكثر اتزانا يا بنتي، أمك رحلت وتركتك في عهدتي، وأنا أشعر بالتقصير حيث أن أمك رحمها الله، لو كانت موجودة؛ لأرشدتك بأمور أنا أجهلها، لكني تكلمت مع خالتك، لذا سأرسلك إلى بيتها؛ لتمكثي هناك شهرا في العطلة

الصيفية، وستستمعين لتوجيهاتها، والآن ارفعي رأسك، واعلمي أني عندما أعنفك فهذا لأني أحبك، ولا أرضى لك إلا أن تكوني أفضل البنات، على ألا يعميك الغرور، ولتعلمي أني أبالغ في تقديرك فقط لأنك ابنتي، أسحب كلمتي أنك أفضل البنات، والفضليات كثيرات وأنت واحدة منهن، آمل أن تكوني منهن حقيقة. إنهضي يا ابنتي واجمعي ملابسك في حقيبة أعددتها لك لأرسلك إلى بيت خالتك كما قلت لك قبل قليل.

ابتسمت ابتسامة مصطنعة، أنا لا أرغب أن أغادر البيت، يعز علي هجر غرفتي، أبي أغلق النافذة التي تطل على نافذة ابن الجيران، حيث كنا نتبادل الإشارات والتحيات من خلال

نافذتينا المتقابلتين. أبي أغلقها تماما حيث لا أستطيع فتحها، ودهن الزجاج بلون داكن حتى لا أرى رفيقي... والآن يريد أن يبعدني عن البيت، أي أب هذا ؟! ألا يعرف أني بلغت الخامسة عشر من عمري، وأصبحت راشدة، حتى أن أمي عندما تزوجت كانت في السابعة عشر، أي بعد عامين سأتزوج، ومن يدري قد أتزوج حبيبي هذا الذي يبعدني أبي عنه، ولكن لماذا؟

إني أحقد عليك يا أبي الآن، كنت آمل أن ترضى عني وتفتح نافذتي بعد أن تتأكد أني لا أرتكب المعاصي، هي إشارات فقط أتبادلها معه لا تتعدى البسمة والتحية.

وهل هذا أيضا حرام؟! سرحت مغ أفكاري مما لفت انتباه أبي وقال:

ما بك يا بنتي؟. هيا اجمعي ملابسك، هل أساعدك في هذا؟

انقضى الشهر، أمضيته عند خالتي، وأنا انتظر بلهفة موعد عودتي للبيت. فرحت عندما عدت ووجدت النافذة مفتوحة. طلاؤها أزيل، نظرت نظرة عابرة عليها، ولم أرغب استكشاف الأمر، لمحته، كان أبي يقف قربي، تظاهرت بعدم الاكتراث، ابتسم أبي وغادر الغرفة، حينها توجهت إلى النافذة، كان يقف وقفته الاستعراضية، وهو يقوم بتمارين رياضية تبرز رشاقته ومتانته.

لم أتمالك نفسي، نظرت إليه باهتمام من طرف عيني، وأنا مشيحة بوجهي عن النافذة، هو هو ... لم يتغير... وأنا لم أتغير كذلك، الشهر الذي غبته لم يغير شيئا، أنا أحبه، وعلي أن أكاشف أبي بذلك.

قالت خالتي: عليك أن تكوني صريحة مع والدك، كوني كالكتاب المفتوح، صارحيه بكل شيء، لا تخفي عنه أمرا، ما يُعمل في الخفاء خطأ، أما الجهر هو الحقيقة والصلاح، وها أنا أنوي أن أصارحه بحقيقة مشاعري التي لم تتبدل.

أنهى تمارينه الرياضية، لم ينظر للنافذة، ربما يعتقد أني غيرت فكري بابتعادي كل هذه المدة.

كيف أصلح الأمر، وأعيد حبل الوداد بيننا؟! نظرت إلى النافذة بتصميم، غادر عرفته، شعرت بالألم، ماذا سأقول لأبي، وكيف أصارحه، وأنا أقابل بالصد؟.

قال لي أبي: أزلت الطلاء عن زجاج النافذة لأني أثق بك، وأعلم أنك لن تلتفتي إليه بعد عودتك من عند الخالة... ابتسمت ابتسامة واهية، هو لا يعلم أني أقضي جل وقتي أمامها.

لكني لا أرى رفيقي، لم يعد يهتم بالنافذة، ولا بي، أنا حزينة، ولا أحد يستوعب حزني وكآبتي. أغلقت نافذتي وصممت أن أقابل جحوده بالمثل، أستطيع أن أكبح شعوري وعواطفي، لكني حزينة ... حزينة ...

اللعب بالنَّار

هدوء تام، وصمت مطبق، كان مؤرقا، ترك غرفة النوم، واتجه إلى غرفة المعيشة، أشعل النور، جلس في مكانه المعتاد قرب المدفأة، كانت مطفأة، آثر أن يشعلها لعل بصيص النور الصادر عن وهج الاشتعال يجعله يشعر بالدفء الداخلي.

الطقس بارد عموما، لكن ليس إلى الحد الذي يجعله يرتجف، ضحك من تفكيره لأنه لا يذكر أنه ارتجف من البرد سابقا. فعلا يشعر به الآن، أشعل المدفأة، انتظر لهيبها الأزرق حتى يتحول إلى وهج أحمر.

نظر إليه بسرور، تذكر كيف كان وهو صغير يلهو بإشعال النيران مع الأطفال في الحارة، كانوا يشعلون الأوراق والكرتون، وأحيانا في فصل الخريف يشعلون الأغصان الجافة، يفعلون ذلك بشغف شديد.

الآن بعد أن كبر، وأدرك بساطة ما كان يبهجهم صغارا، هذه البساطة يفتقد إليها طفل هذه الأيام، ابنه الصغير مثلا يبتهج عندما يذهب إلى مدينة الملاهي، ويمارس مختلف الألعاب المتوفرة هناك، هو عندما كان في مثل سنه كان يلعب بالنار، والآن هل يلعب بها يا ترى؟!

لعل الحياة جعلته يخمدها أمامه وبشعلها في صدره، ويكبتها دليل كبته، هو غالبا ما يكون قلقا، متوترا، مكبوتا كونه يفتقد القناعة والرضى مما يجعله يشعر بالحزن والكآبة، وعندما ينزعج من واقعه يهرب إلى طفولته.

يستحضر مشاهد كانت تبهجه عندما كان يلعب بأشياء أخرى غير النار، كان يلعب بعلب السردين الفارغة، يركلها مع الأطفال لتصيب هدفا يحددونه، ويفرحون عندما يحققون هدفهم، هذا الهدف المفقود الآن في الحياة. وزجاجة البيبسي الفارغة كانوا يركلونها حتى تصل إلى مكان بعيد، ثم يركضون صوبها ويركلونها بالاتجاه المعاكس وهكذا، أما أغطية زجاجات

البيبسي كانوا يجمعونها ويخرمونها، ويشكّونها بخيط سميك، يلوحون به حيث يصطك المعدن مُحدثا صوتا يطربون له.

أما الموسيقى التي كان يعشقها ولا يزال، كان يستمع إليها عندما يصغي إلى حفيف الأشجار، كانت أمه توبخه لجلوسه صامتا، وحيدا، بعيدا عن أترابه ، متخذا مكانا بين الأشجار، لم تكن تدري أن لديه أذنا موسيقية، كانت تردعه، وتمنعه من هذه الجلسات المحببة له، لكنها تعتبرها شذوذا عن المألوف، وهو فعلا كان شخصا مختلفا، متميزا، مرهف الحس، ذكيا، لماحا، ذكاؤه الوقاد يجعله يبدو غريبا غير مفهوم لدى أترابه وعائلته؟ أنهى دراسته الثانوية بتفوق، وأبدى رغبته بدخول كلية الفنون

ليتعلم الموسيقى، نهره أبوه، وبكت أمه لسوء اختياره، واعتبرته فاشلا رغم نجاحه، أخيرا درس اللغة العربية، واسى نفسه أنه في الشعر يرضي ذائقته الموسيقية قليلا، ومع ذلك لم ينظم الشعر، كان متذوقا له فقط.

عمل مدرسا في مدرسة حكومية، كان مربيا فاضلا، حيث أن صفه الموكول إليه كان يعتني به عناية فائقة، شكل لجنة من طلاب متفوقين، وأنشأ مباراة ينظمونها لقراءة الكتب، وجعل جائزة لأكثرهم مطالعة بأن يزيد في علامته بالإنشاء.

وهكذا أنشأ طلابا محبين للقراءة، وجعل بينهم مباراة في حفظ الشعر، رضي عنه المدير، وأحبه الظلاب، ومع ذلك لم يكن

راضيا، كان دوما يتحسر كونه لم يحقق ذاته، مع أنه في نظر الجميع ناجح، متميز، كان يتألم كونه لم يعبر بابا واسعا كان يتمنى أن يلجه، هو يدرك الآن أن الأوان قد فات، لكنه لا يستطيع أن يضع حدا لحلمه المقموع، أخيرا قرر أن يحقق ذلك في ولده، لذا أخذ يصطحبه ويذهبان معا إلى الحديقة، يجلسان تحت الشجر، يقضيان وقتا واسعا يتأملان، ويصغيان لموسيقى الأشجار التي كانت مبهجة له وما زالت كذلك.

للأسف لم يكن يلمس في ولده هذا الميل مما جعله يكتئب، كان الولد يفرح لمنظر الأشجار والزهور، ولا يلفت نظره الحفيف

الموسيقي، أخيرا أيقن أنه في جلساته بين الأشجار يستعيد طفولة موؤودة، مقموعة عاشها والآن يحييها من جديد.

الخريـف

سقطت ورقة من غصن على رأس الشيخ وهو مبتسق الشجرة بخشوع عاشق، تلمسها بيده، ثم سحبها، وقربها من أنفه ليشم رائحة الخريف، نظر إليها بتمعن، كانت نحاسية اللون، تأملها بجلال العارف لطقوس الشجر، متفهما غاياتها.

تتالت وريقات أخريات، وسقطن عليه تباعا حتى كسونه بها، ابتسم بمكر، فالشجرة تراوغه إذ تقذف أوراقها متلاحقات، ولا تدع له فسحة للتأمل، ابتسم وهو ممسك ورقته الأولى، أدرك أنها تعنيه وحده، نهض وتحرر مما يعلق بثيابه من الأوراق

الأخريات، محتفظا بها وحدها، وغادر بعد أن خبأها في صدره وقودا لذكرى لا تفتأ تغزو عقله بتصميم وإلحاح.

عبر بيته، ونظر إلى صورة زوجته الراحلة، ومن حيث لا يدري عقد مقارنة بينهما، كانت الراحلة نحاسية البشرة، وكريمة معطاءة كما الثمر، وضع الورقة بجلال على إطار الصورة وبكى.

احتراق

أمسك منديله الورقي ليمسح قطرات عرق تسربت على جبهته، نظر حوله، عتمة وسكون، الساعة الآن لم تتعد الرابعة صباحا، العرق لا يزال ينهمر، كيف سيؤول إليه الحال عندما ينتصف النهار؟.

تفتت المنديل في يده، تناول منديلا آخر، وآخر حتى نفدت حافظة المناديل أمامه، خطر له أن يجمع عرقه في قارورة. نيرون فعلها وجمع دموعه، تبسم لهذه المفارقة، وقال في سره:

نيرون كان حاكما ظالما، وأنا من العامة، لكني أشبهه، نعم أشبهه، أنا أقترف ظلمي، وأختفي خلف ألف ستار من التمويه، سرح بأفكاره بعيدا، شعر بدوار، وتسارعت ذكريات خسيسة إلى ذهنه تباعا.

ذكريات كان قد اقترف سوءاتها، أبرزها حرق دكان أخيه الكبير لسبب بسيط أنه يمتلكها، بينما هو يعمل أجيرا عنده، أعماه الحسد، وأوغر صدره الحقد، وجعله يقترف جريمته بإصرار، شعر بضيق وهو يستعيد منظر اللهب، هو ضيق عابر سرعان ما يتلاشى ليحل محله التصميم على الأذى، هو يدرك تماما أنه يخبيء في قلبه وحشية نيرون، وشرور باندورا.

نعم هو نيرون آخر، لو أتيحت له الفرصة وجعلته الأقدار حاكما لكان أظلم منه، لكن الله حكيم إذ جعله شخصا مهمشا، ومع ذلك أباح لنفسه ارتكاب الموبقات متلذذا، طربا.

ارتكب المعاصي وتمادى في الغي، تسرب العرق على جبهته من جديد، هذا العرق هو نتيجة الفوران الذي يشتعل في صدره، والغل الذي يسكنه.

أدرك أن عليه أن يقدم على فعل جديد، أو شر جديد لتهدأ ثورته.

لكن كيف؟

ومن أين يبدأ؟

أسند ظهره على مقعده المتهالك وصرخ: أين الماء؟ إلي بكوب منه، أحس بعطش شديد، لا أحد يسمعه، الجميع في بيته نيام، نهض، غسل وجهه، شعر بانتعاش، مسح آثار العرق، لكن هل يستطيع أن يمسح نظرات الحقد في عينيه، حتما لا ، ولا حتى الدموع التي يذرفها أحيانا عندما يوخزه ضميره في غفلة منه، وقلما يفعل، لا يستطيع أن يعيد لعينيه براءة الطفولة.

تذكر أنه حتى في طفولته لم يكن بريئا تماما، كان يتلف دفاتر أخيه المتفوق، ويمزق كتبه، كان يفعل هذا ثم ينزوي في ركن باكيا، لكنه كان ينكر أنه اقترف هذا الذنب، ينكر بشدة ...

أية... فتح صنبور الماء، وغب منه بنهم، شعر بانتعاش، استعاد ثقته بنفسه، أحس بجبروته، اعتدل في جلسته، رفع رأسه، عليه أن يباشر مهمته الجديدة، فأخوه الأصغر تخرج في الجامعة، أمس كانوا يحتفلون بهذه المناسبة، وهذا سبب كاف لتتحرك كوامن الغضب فيه، عليه أن يُحبط نجاحه، عليه أن يدمره.

لكن كيف؟ لم تتضح الصورة بعد ... أدرك أخيرا أن الشر في داخله لا يُخمده غير فعل حاسم... ضحك بغل، ضحك كثيرا حتى استيقظ أهل بيته على صخب الضحك، كز على أسنانه، تناول مدية ودسها تحت حزامه بثقة. وقال: أوشكت أحلامي أن تتحقق، وغادر مسرعا أمام ذهول الجميع.

إصدارات للكاتبة

في المسرح:

*شباك الحلوة

*كاهن المعبد

*مقتل شهرزاد

*الشحاذ حاكما

*عازف الناي

*مدينة الرهان

*حكاية توت

*الرباط الأزلي

*وكر الأفاعي

*صدى الروح

*أنين الأرواح

مجموعات قصصية:

*مطاردة النمال

*دموع من رمال

*الغد موعدنا

كتب أخرى:

-كلمات دافئة (خواطر)

-بكائيات غزة (نصوص أدبية)

الإيميل:

Maysoonhanna897@gmail.com

الفهرس

الإهـــداء 5
تقديم... 7
العـــــودة 13
دمية وشال (1).. 14
عودة ملغومة (2)... 18
عدنا (3)... 23
الغد موعدنا 29
الموت الكريم.. 35
أحلام غَزيَّـــة... 40
نـــور.. 45
هواجــس... 54
نقطة تفتيش 65
قَتَــــام 69
المخلوع.. 74
مُعلَّق أنا بين السماء والأرض................................ 85
مناورة 94
غُربـــــــة 98
مراهَقة 107
اللعب بالنَّار.. 113

الخريـف 120
احتراق 122
إصدارات للكاتبة 127
الفهرس 129

تمت

المجموعة القصصية

(الغد موعدنا)

=**=**=